افتتاحية النص عند العقابي ودلالاتها

(سماء في آخر الشعلة إنموذجا)

م. فيصل هادي عبدالله الدنيناوي

الجامعة الاسلامية ـ فرع الديوانية- العراق

الكلمات المفتاحية: حيدر حاشوش العقابي، مجموعة البحث عن دائرة القمر، مجموعة سماء في آخر شعلة.

faisal.aldenanawy@gmail.com

الملخص

نتوقف في بحثنا هذا عند مجموعة الشاعر حيدر حاشوش العقابي والتي تحمل عنوان :((البحث عن دائرة القمر)) ، وستكون لنا من خلال ذلك وقفتان : الاولى : مع اسم المجموعة ، والثانية : النص الانموذج : الذي جرى اختياره ممثلا للمجموعة : في المجموعة ثلاثة عشر عنوانا وهي كما يأتي : (سماء في آخر شعلة) ، (سيف يتنفس العواصف) (شبابيك الانتظار)،(شرق الجرح) ، (جنوب الغسق) ، (صوت للجسد) ، (صوت للعويل) ، (ضفة اخرى للهروب) ، (ايماضة) ، (ضوء تحت غيوم الدموع) ، (عاصفة القلق) ، (على انقاض الوقت)، (غربة في كنف الاصابع)، (غمامة الدم) ، (فناء بحجم) (الاحداث) .

الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها هي أنّ جميع عنوانات النصوص مثلت بتفاصيلها عنوان المجموعة تمثيلا معنويا صادقا كدلالة الاسم ـ في كثير من الاحيان ـ على مُسمّاه ؛ فهي غارقة في ضبابية الرومانسية المتشائمة مما يجعلها حقا تبحث عن نافذة للقمر .

The Opening of the Text for Al-Aqabi and its Implications (A sky at the end of the torch is a model)

Lect. Faisal Hadi Abdullah Al-Dinawi
The Islamic University - Diwaniyah Branch-Iraq

Keywords: Haider Hashush Al-Uqabi, Searching for the Moon Circle, Sky in the Last Flame group.
faisal.aldenanawy@gmail.com

ABSTRACT

In this research, we will stop at the poet Haider Hashush Al-Uqabi's group, which bears the title: "The Search for the Circle of the Moon." Through this we will have two stops: the first: with the name of the group, and the second: the sample text: which was chosen as a representative of the group: in group three Ten titles, and they are as follows: (sky at the end of the flame), (a sword that breathes storms), (waiting windows), (east of the wound), (south of dusk), (the sound of the body), (the sound of wailing), (another side of escape), (flickering), (light under the clouds of tears), (storm of anxiety), (on the ruins of time), (weakness in the palm of the fingers), (cloud of blood), (yard-size) (events).

The fact that cannot be ignored is that all the titles of the texts represented in their details the title of the group, a true moral representation, as the name denotes - in many cases - to its name; It is soaked in the mist of pessimistic romance, which makes it really looking for a window to the moon.

مقدمة

غالبا ما تكون العناوين في المؤلفات بصورة عامة ، والأدبية منها بصورة خاصة . أيّاً كان جنسها :قصة ، أو رواية ،أو نصا شعريا . عاملا مساعداً يخلق لدى المتلقي صورة ذهنية اجمالية سابقة للتفاصيل التي سيواجهها بعد أنْ تجاوزه عتبة النص، وكل ذلك سيعتمد بالدرجة الأساس على مدى قدرة المنشيء على إختيار وانتقاء الدّوال التي لها القدرة على الإيحاء ليُودعها أسرار نصه ، وعلى ضوء ذلك فستكون هذه المرمّزات . بلا شك . مفتاحا لما يأتي بعدها ، فتُسهّل على المتلقي مهمة الكشف عما يخبئه النص من رؤى ، وتصورات ، ورسائل ورموز يُريد المرسل إيصالها إلى المتلقي ؛ كونها تمثل العتبة الأُولى التي لايمكن للمتلقي الدخول إلا من خلالها فهي البداية الفعلية لعملية القراءة ، وهي التي تهيؤه ذهنيا لاستقبال كل ما يواجهه وتمهد له الدخول الى حجرات النص الخفية ، فهي اذن بمثابة الكشافات التي تسلط الضوء على ممرات النص المتعرجة ، وتقوده إلى أبعاده المترامية الأطراف ، ومن باب آخر فإنّها توفّر عليه الكثير من الجهد ، وتتيح له .كما في البطاقات التعريفية .فرصة التعرف ، والاطلاع على هوية النص ، وتمنحه القدرة على تحديد السمات ، والملامح الجمالية فيه ، واستجلاء حقائقه الفنية الكامنة فيما بعد ،وادراك دلالاته ، ومعانيه التي يشف بها عنوانه وكذلك مايستبطنه من أفكار ، وقد كان القدامى ينظرون الى فاتحة القصيدة ، أو مطلعها نظرة فاحصة ؛ باعتبارها أول مايفجؤك من القصيدة ، ومن خلالها يتمكنون من ادراك قصد الشاعر، وما يرمي اليه من مشاعر يُريد الكشف عنها ؛ كي يحظى بتعاطف الآخر معه ، وضمان مشاركته وجدانيا ، فلذا كان الشعراء دائما يحرصون على أنْ تكون مطالع قصائدهم دالة على مرادهم ، ومعلنة ، أو ملمحة ، أو مشيرة الى ما في ثناياها القصيدة من صور جزئية متعددة تُكوّن باجتماعها معا الصورة الكلية لفكرة بناء القصيدة وتصوراتها ، فيُعدّ المطلع ، أو الاستهلال مجسّما صغيراً لدلالات القصيدة تكتنز فيه . إذا كان اسما ، أو في ألفاظه ، وعباراته اذا كان مَطْلعا . دلالات كثيرة ، ومعانٍ مكثّفة ، مضغوطة ترسم في ذهن القارى أو المتلقّي ، أو في مُخيلتة صورة مصغّرة لبنية النص الدلالية ، وهذه المنهجية في القصيدة الكلاسيكية تتمثل . دائما . بالمطلع ، والذي يعْني عندنا اليوم عنوان النص ، أو اسم القصيدة ، ويُفهم من ذلك أنّه مستوحًى من أجواء النص، أو القصيدة ، فهو كصورة مختزلة من فكرة النص ورؤاه المختلفة تحتفظ في ثناياها على جزئياته ودقائقه ، تشفُّ بدلالات كثيرة تترجم

لنا بطريقة الإيحاء عما في ذلك المشهد المقتطع من طبيعة فاعلة ، أوحركة ، أونشاط ، أوحيوية باعتبار أنّ النص أو القصيدة هو نقل ووصف لعاطفة منفعلة من داخل ذات الشاعر إلى خارجها ، اذن هنالك شبه الاتفاق على القصدية المتعلقة بالمطلع ، أو العنوان عند القدماء والمحدثّين بخصوص مضمون عتبة النص ، أو القصيدة ، أو العنوان ، أو المطلع ، أو الاسم . سمّهه ماشئت . فهو واحد من حيث الدلالة ، وهذه النظرة الى مطالع القصائد شغلت اهتمام القدامى وأثارت انتباههم ، قال ابو محمد ابن قتيبة الدينوري : ((... وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أنّ مُقصّدَ القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار ، والدمن ، والآثار فبكى ، وشكا وخاطب الربْع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين))[1] ، وبقيت هذه الرؤية تزداد وضوحا بمرور الزمن ، وتنال حظّا اكبر من التحليل ، والتعليل ، كما استدلّ نقاد القرن الثالث الهجري على مافي المطلع من أدلة لايمكن تجاهلها تكشف عن مراد الشاعر ، وتفضح خفاياه ، ومانتطوي عليه نفسه من أسرار ، فبعد مرور قرن وثمانين سنة بالتحديد على ماصرّح به ابن قتيبة ، بيّن لنا القيرواني أهمية المطلع وعلل ذلك بقوله : ((فانّ الشعر قفل أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أنْ يجوّد ابتداء شعره ، فانه أوّل مايقرع السمع ، وبه يستدل على ماعنده من أوّل وهلة))[2] ، ولو أجرينا مقارنة بين مقالة القيرواني عام (1000م) ، ومقالة د. عبد الحليم حنفي بعد مرور سبع وثمانين وتسعمائة سنة لم نجد اختلافا كثيرا في النظرة الى مطلع القصيدة ، أو افتتاحيتها ، بل نكاد نجد تطابقا تاما بين المضمونين حيث يقول الثاني :((المطلع أوّل مايواجه السامع من القصيدة ،وهو بهذا الاعتبار يحتلّ الاهمية الاولى من عناصرها ، ولابد أنْ يراعي الشاعر ذلك فهو بمثابة العنوان للقصيدة أو المدخل اليها ،ولذلك نلحظ أنّه يحاول أنْ يحشد فيه أجود مالديه من معان وحسن صناعة))[3] ،وقد اشار ايضا إلى أهمّية المطلع وبيان اهميته ووجوب العناية به ابن حجة الحموي (ت: 830هـ .1243م) بقوله :((وأعلم أنّه اتفق علماء البديع على أنّ براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلّة المعاني واضحة في استهلالها...))[4] ، ولأهمية الابتداءات ، ومطالع القصائد وافتتاحياتها عند جيل النقاد القدامى كونها تمثل ركنا مهما من اركان بناء القصيدة

[1] الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء تصنيف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى (276ه_899م) ، حققه وضبط نصه د.مفيد قميحة ، راجعه وضبط نصه الاستاذ نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: 2، 1405ه، 1985م،27.
[2] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (390-456ه \ 1000-1064م)، قدم له وشرحه ، وفهرسه د. صلاح الدين الهواري ، أ هدى عودة ، منشورات دار مكتبة الهلال ط:1، 2002م،456.
[3] مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية ، د. عبد الحليم حنفي ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ط:1، 1987م، 63.
[4] خزانة الأدب وغاية الأرب ، للعالم الادب واللوذعي الأريب الشيخ تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ، المطبعة الخيرية ،مصر- القاهرة ط:1، جمادى الثانية 1304ه ، 3 .

باعتبارها الواجهة الامامية ، والدليل على مايريد الشاعر الافصاح عنه أو التلويح به ؛ فقد جعلها الآمدي بابا من أبواب ((موازنته))[5] ، فنستطيع القول انّ ممارسة التأثير على المتلقي تبدأ من خلال عنوان القصيدة ، أو مطلعها ، ويُعد بذلك مفتاحا لشيفرة النص التي تمكن المتلقي من حلّها ، وتُسهّل عليه مهمّة فهم مضامينه ، وحلّ اشكالياته المختلفة يقول هانز روبرت ياوس أبرز منظري (نظرية التلقي الالمان) :((فانّ أيّ نموذج يُعيّنهُ يخلق تقنيات التفسير والموضوعات التي يُراد تفسيرها على السواء))[6] ، وهذا يمكن تطبيقه على العنوان أو مطلع النص مادمنا نبحث عن لائحة من الدلالات تُشكّل محوريته أيْ : أنّ فهم وتأويل أيّ نص يكون مشتركا بين مايضعه المنشيء في نصّه من اشارات دالة تقود الى معان بعينها حاول رسم ملامحها ، وتحديدها مُسْبقا ، وبين ماتركه من فراغات يملؤها القارىء تبعا لافقه الثقافي والمعرفي ، وهي . بطبيعة الحال . ذات أفق واسع يقبل القراءات المتعددة.

ولمعرفة صحة هذه الافتراضات من عدمها ، ولغرض التحقق من وقوع مصاديقها نتوقف عند مجموعة الشاعر حيدر حاشوش العقابي والتي تحمل عنوان :((البحث عن دائرة القمر))[7] ، وستكون لنا من خلال ذلك وقفتان : الاولى : مع اسم المجموعة ، والثانية : النص الانموذج : الذي جرى اختياره ممثلا للمجموعة : في المجموعة ثلاثة عشر عنوانا وهي كما يأتي : (سماء في آخر شعلة) ، (سيف يتنفس العواصف) (شبابيك الانتظار)،(شرق الجرح) ، (جنوب الغسق) ، (صوت للجسد) ، (صوت للعويل) ، (ضفة اخرى للهروب) ، (ايماضة) ، (ضوء تحت غيوم الدموع) ، (عاصفة القلق) ، (على انقاض الوقت)، (غربة في كنف الاصابع)، (غمامة الدم) ، (فناء بحجم) (الاحداث) .

الحقيقة التي لايمكن تجاهلها هي أنّ جميع عنوانات النصوص مثلت بتفاصيلها عنوان المجموعة تمثيلا معنويا صادقا كدلالة الاسم . في كثير من الاحيان . على مُسمّاه ؛ فهي غارقة في ضبابية الرومانسية المتشائمة مما يجعلها حقا تبحث عن نافذة للقمر .

[5] الموازنة ، أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي البصري(ت: 370ه)حقق اصوله وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط: 2، 1373ه-1954م، 384 .
[6] نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي ، تأليف د. عبد الناصر حسن محمد ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،ط:1، 1990م ،101.
[77]البحث عن نافذة القمر ، حيدر حاشوش العقابي ، دار المرتضى ، ،2014 ط:7.1.

وأول مايطالعنا فيها النص الأول : سماء في آخر شعلة فقد تجاوز الشاعر فيه البدايات التي اعتادها بحكم تكرارها وقرر الوقوف عند نهاياتها ،وهذا يعطينا انطباعا أوّليا بأنّ الشاعر قد عاش تجربة حقيقية قد اكسبته خبرة وقدرة كبيرة على اكتشاف المجهول وسبر أغواره ، واستشراف المستقبل الذي بدا . في هذه المجموعة . سوداويا رتيبا لاجديد فيه فهو كما يقول ((الشاعر : ماأشبه الليلة بالبارحة))[8] ، فآثر عدم تكرار محاولة تغيير الواقع وفضل التخندق والتقوقع على ذاته فعل المحارب الذي يعطي لنفسه استراحة قبل العودة الى الحرب مرة أخرى ،أو هي بمثابة الهدوء الذي يسبق العاصفة . قامت دلالة النص على وجود أرضية قلقة أسس لها الشاعر ، يطغى عليها عنصر التوتر ، ولذلك برز على سطحها دون أيّة عوامل مساعدة لإظهاره ، فتجسّدت من خلاله صورة واضحة لمشاعر اليأس والسآمة ، وهي تسيطر على كافة تحركاته ؛ مما جعل رحلتة محفوفة بالمخاطر ، وهي بلا شك لاتسير الى عالم مجهول فحسب ، بلْ هي عبثية . بمعنى الكلمة . غير محسوبة العواقب ، ولكنّ وقوعها حاصل لامحالة ، وتحققها مسألة وقت ليس إلّا ، فالسماء التي تمثل أفق الشاعر ، وأمله المنشود ، وغده المشرق يقترن بقاؤها ببقاء هذه الشعلة الأخيرة ، وانطفاء هذه الشعلة الاخيرة يعني تحوّل الاشياء الى صورة يلفها الضباب ومتاهة تُوصف عملية تجاوزها بالضياع ، وأنّها رحلة تتجه صوب المجهول ؛ حينها لايبقى امام الشاعر سوى مرآى الظلام الدامس ، هذه الايحاءات هي التي مهدت الطريق الى فهم ما يحتويه النص وما يكتنفه من مشاهد وصور جزئية ليتحوّل في النهاية الى بانوراما كبيرة يشترك كل مشهد من مشاهدها بانتاج جزء مهم من دلالتها الكبرى ، وجزء حيوي فعّال يسهم في تكوين وحدتها العضوية ؛ لذا نرى أنّ كل مقاطع النص قد دخلت تحت مفهوم تعبيري واحد عبر عنه عنوان النص، ولنقرأ ماقاله الشاعر في المقطع الاول من نصه :

آخر سنبلة من الريح

طردت خيال الأضاحي [9]

[8] ديوان طرفة بن العبد ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت لبنان 1427ه-2006 م ط:2 ، 19، وصدره :
كلهم أروغ من ثعلب ماأشبه الليلة بالبارحة
[9] البحث عن دائرة القمر ، 7

هذا المشهد بلا شك يمثل صورة انعكاسية للواقع الذي يحيط بالشاعر ، وكأنّه لوحة سريالية اختلطت فيها الالوان ، وتشابكت فيها الخطوط ، وهي لعبثيتها تحتاج الى من يعيد اليها توازنها بعد أنْ يجعل وجودها متحققا ، فالسنابل حينما تكون ممتلئة تعبّر في ابسط دلالاتها عن معنى الوجود ، فهي اكسير الحياة ، لكنّها عند العقابي لاتمثل سوى الخواء ، والفراغ ، وعلى الرغم من خلوها من مبدأ الغائية فانّها مثّلت الاقتراب من العدم أصدق تعبير كونها ذهبت جميعا ولم يبق منها الّا الاخيرة ، وعلى افتراض وجودها ، فهو لايحقق شيئا على صعيد الواقع انّ هذه السنبلة الأخيرة الممتلئة بالريح لم تسمح حتى لخيال الأضاحي بالاقتراب منها ، ناهيك عن اقتراب الضحايا من الحقيقة ، لذا والصورة على هذه الحالة ؛ فإنّها حتما ستُبقيهم في المنافي البعيدة كي يظل المستحيل قائما .

في المقطع الثاني يقول العقابي :

سويت هذا الحزن على مقاسي

ان الخريطة التي كانت وجهي

وميلاد سري لحصان اشتهى الليل

فصادف الزهور في عز القضية [10]

في هذا المقطع نرى أنّ العقابي ، يقف مذهولاً من هول الصدمة ، وكأنّه قد فقد حماسه وأفلت من يده زمام المبادرة والثورة التي كان يريد تنفيذها بعد الإعداد والتخطيط لها لاجتثاث واقعه المؤلم ، فها هو الآن وكما يبدو جليا للمتلقي قد رضي الرضوخ لقدره ، والاستسلام لمشيئته وهذا الأثر . بلا شك . هو من أثر الرومانسية التي لم يتخلص الشاعر من هيمنتها ؛ فوقوع الشاعر في اسر قدره دونما مقاومة تذكر ، بل دونما نية مبيّتة للتغيير هو نكوص على الذات ، ربما هناك محاولة أخيرة يائسة . وهي آخر مافي جعبة الشاعر . يحاول جاهدا أنْ يقاوم بها هذا الانكسار الداخلي ، كي يجمع قواه الخائرة ، ومحاولته التوحيد . من جديد . بين فعله ، وماينوي

[10] المصدر السابق نفسه .

القيام به ؛ فهو لم يزل يضطرب في داخله بركان من الحماس ، والغضب يدفعان به للتمرد ، والثورة ، فعل الحصان الجموح ، فيختار الليل لذلك منطلقا ، فعادة ماتأتي الصباحات في أعقاب الليل ، والغريب أنّ ايقاع هذه الصورة قد تشكل من خلال تغيير مجرى الاحداث .الثائر الذي وجد مايشغله عن متابعة المسيرة ؛ لتحقيق مهمته الكبرى : في التغيير ، والتجديد ، والبعث ، وكأنّه قد وجد حالة من الدعة ، والخمول فظل مستلقيا بين الزهور مؤثرا السلامة على التضحية . يحدث هذا الفتور ، والخمول بينما يُفترض أنْ يكون هو في أوج نشاطه ؛ فلذا ظلّ الواقع راكدا ، إذْ أنّه لم يستطع اكمال مشواره الذي ينبغي عليه قطعه للوصول الى غايته وتحقيق غايته المنشودة في التغيير المطلوب لصالحه .

ولننتقل الى المقطع الثالث والذي يرتبط بدلالته ايضا بعنوان النص حيث يقول :

ما من أحد

يتسع صدره أن يتحمل البشاعة

وليس هناك قوادم للرأس

كي يتعطل التهدم بين يديك [11]

في هذا المقطع نجد أنّ الشاعر يبوح لمن حوله بمهمته ، باعتباره رسول سلام في هذه الحياة ؛ فهو يبحث في حطامها عن نبض خافت يقوم بانعاشه ، أو جمرة بين الرماد يعيد اليها توقدها ، لذا نجده ينشد السلام والجمال والخير اينما يجد مجالا للبوح ، ويقف بالضد من القبح أينما وُجد ، يحاول دائما اعادة رسم الواقع ، وإعادة تشكيله من جديد ، ويُبعد عن قاموسه كل مايتعلق بدلالات اليأس ، لذا يتطلب منه ذلك أنْ لايدع الإحباط . ومهما كانت الحال . من التسلل إليه وثني عزيمته كي لاتتعطل لديه القدرة على الفعل المعاكس ؛ لأنّ مهمّة الفن بصورة عامة والأدب الذي هو جزء من مكوناته : هي بعث عناصر الخير والأمل ، وتجميل الواقع ، واعادة صياغته على وفق تصوّر خاص ، مع ابقاء شعلة التفاؤل متوهجة ، والمحافظة على بريقها ؛ لتدوم

[11] المصدر السابق نفسه.

اشراقة الحياة ، ويعمُّ الخير والسلام ، وعلى هذا النحو يظل العقابي يعرض علينا صوره كما في المقطع الآتي وهي متنفسه الوحيد للبحث عن بصيص من الأمل : (البحث عن نافذة القمر) عنوان مجموعته) وآخر شعلة في سمائه .

صور حزينة تعبر عن وعيه الفاجع ، تعبّر عن عدم رضاه وقناعته بهذا الواقع المؤلم ، وأنّه لم يزل يسبح بالضد من التيار الجارف ، ولاتزيده الوحدة وحشة حتى ولو ظل يغرّد خارج سربه طيلة حياته ، مازال الشاعر مع مافي محاولاته من اخفاقات كثيرة ولكنه لم يفقد الامل المنشود بصورة نهائية تدعوه إلى اليأس والقنوط والإستسلام جراء حالات الفشل المتكررة ، بل أدرك في لاوعيه أن محاولاته تلك ربّما ستُؤتي أُكلّها يوما ما ، وأنّ عدم تحقق مشروعه الحضاري على صعيد الواقع لايعني نهاية المطاف ، بل تظل تلك المحاولات جزءا ضروريا للوصول الى النجاح ، وحتى عدم معرفته بما تُخبّئه له الأيام هو أيضا مرتهن بما يرسمه هو ومايتوقعه من نتائج ، نعم ولكنّه . في النهاية . سيمضي حتّى وإنْ كانت طريقه غير معبدة في رحلة نحو المجهول تحفُّ بها المخاطر ، ولكنْ يجب عليه المغامرة مهما كانت العواقب وخيمة لقطع ذلك الطريق ، ومادام غير عارف بالمدى الذي سيقطعه فمن المتوقع أنّ الرحلة ستطول وستستمر ؟

ياحارس النهر

الباب مهدم

بين سجدتين

أو ضريحين

الوقت أفق ، لغيم يتيم

والغيوم بجع ، يحب الاختباء مرارا ،

كي لايصطاده الصمت

ويكسر نشيده

الذي لاينطفىء [12]

ونستمر في تعقّب بصيص آخر شعلة علّها تفتح أمامنا أُفقا جديدا يحدد مسار خطواتنا المؤجّلة باتجاهه هربا من حمّى الواقع وحتّى لاتضيف المغامرة الى معاناتنا تراكمات أُخرى .

محاولة جديدة يشوبها حذر شديد كي لانقع مرة أُخرى في الوهم في رحلة البحث عن الحقيقة التي نسعى مع الشاعر لاكتشاف كنهها :

ليس لي القدرة

على الضحك على ذقوني

أنا أول خليفة

يأسره النور

ويبرمج اختفائه

كي لاتضيع أوزاره حملا

يفسد عليه مكوثه [13]

في هذا المقطع يعيد الشاعر تذكيرنا بمهمته الانسانية الكبرى التي انيطت به ، ولكنّها تُصاغ بطريقة جديدة . الشاعر جزء فعّال في هذا الكون الواسع يحيا الواقع ، ويتفاعل معه ، ولايمكن له تجاهل مايحيط به ؛ فيُصبح كالنعامة التي تخفي راسها في الرمل حينما تشعر بالخطر محدقا بها ، كذلك لا يستطيع أنْ يظلّ متفرّجا على مايصيب واقعه من هزّات مصيرية ربما إنْ استمرت ستصيبه بالتصدّع والإنهيار التّام ؛ فلذا

[12] المصدر السابق ، 7- 8 .
[13] المصدر نفسه ،8 .

لايمكنه أنْ ينآى بنفسه عن المشاركة في صنع الأحداث ، ولا أنْ يقف منه موقفا حياديا ، بل أنّه يدرك وعلى درجة يقينية كبيرة أنّ مهمته تفرض عليه أنْ لايتخلّى عن مسؤولياته التأريخية ، ولا عن المساهمة الفاعلة في إعادة بناء الوقع ، كما ويقع عليه الدور الأكبر في توجيه حركته أيضا ، وامتلاك قدرات الكون التسخيرية التي وجدت أساسا لخدمة هذا الانسان ، وأنّ اختياره لموقف الاستسلام ، والسكون لسوف يكون باعثا على مضاعفة معاناته ، ومعاناة الآخرين من أبناء جلدته ، وحينئذ يجد من اللازم أنّ التضحية تظل خياره الوحيد كما يقول الشاعر : ((بعض الشر أهون من بعض))[14]، الشاعر هنا قدم لنا رؤية استشرافية كونية فاحصة لما يحيط به ، وماينبغي عليه فعله ، ففي المقطع الأخير من نصّه نلمس هذا الموقف ، ولكنّه موقف يمكن أنْ يُوصف بالسلبية كونه لايرقى الى ماشرّعه هو ومارسمه لنفسه فقراره لم يصل الى ماوصلت إليه الواقعية الإشتراكية ، من خلال تبنّيها للحلول المناسبة ؛ لمعالجة الخلل ، بل ظلّ موقف الشاعر فيما هاهنا عبثيا تشخيصيا وفعله تجريبيا ، فهو لم يقترح أيّة حلول مناسبة ، أو أيّة طروحات مناسبة من شأنها أنْ تكون دليلا لخطوات لاحقة . نعم وضع الشاعر يده على الجرح ولكن دون أنْ يُسعفه مشواره الفنّي ببلسم يوقف نزيف هذا الجرح ، هذا مايترجمه لنا المقطع الأخير من سماءه التي لم تزل محجوبة عنه وأنّ شعلته ستنطفىء حتما إنْ بقيت في مهب الريح :

شيء يشبه الملح ، أو هو أكثر بياضا

يتجمع في صبغة الصدغ

ويتلو آيات من دم جامد

ان هذه الارض أفسد فيها الرعاع ،

والقتلة

[14] ديوان طرفة بن العبد ، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط:2:61، وصدره :
ابا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

والزنادقة ،

والنازلين من أغصان تعبدهم ،

قل ان الارض ملأها الكذابون ، بالتستر والموارية ،

قل ان وجهي لايمتلك الحمى أبدا

ولهذا داسوه بلا خجل [15]

كلمة أخيرة تُقال هو أنّ استقراء النص لم يك عملية قسرية ، فتجعل من نتائجه حقائق مجردة مفروضة مُتأتّية من خلال ليّ عنق النص ، بل أكاد أُجزم أنّها كانت قراءة منتزعة من دلالات النص ، قراءة أقل مايُقال عنها أنّها متأنّية ، واعية ، حقيقية ، تتّسم بالحيادية والموضوعية ، قراءة تطلعت ببصيرة ثاقبة لما شفّت به عناصر النص ، فجاءت حقائقها من خلال الكشف عن ستور النص الشفّافة التي لم يحاول الشاعر تقنيعها بصورة تجعل من العسير على المتلقّي التطلع لما ماوراءها وتبيُّن قسماته ، بل ترك ذلك عُرضة لأيّ نظرة مُتفحّصة بقصد التمتّع بمشاهدها الجمالية ، والحصول على لحظة الإكتشاف التي تشعره بسعادة غامرة ، مع مامنحه الشاعر لمتلقّيه من فرصة المشاركة في إنتاج وإعادة صياغة النص مرة أُخرى ، وملىء ماتحتاجه فراغاته المتروكة بما ويتلائم وأُفقه الثقافي ...

الهوامش والمصادر

1. الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء تصنيف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى (276هـ_899م) ، حققه وضبط نصه د.مفيد قميحة ، راجعه وضبط نصه الاستاذ نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط: 2، 1405هـ، 1985م،27.

[15] المصدر السابق ، 9

2. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (390–456هـ \ 1000–1064م)، قدم له وشرحه ، وفهرسه د. صلاح الدين الهواري ، أ هدى عودة ، منشورات دار مكتبة الهلال ط:1، 2002م،456.

3. مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية ، د. عبد الحليم حنفي ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ط:1، 1987م، 63.

4. خزانة الأدب وغاية الأرب ، للعالم الادب واللوذعي الأريب الشيخ تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ، المطبعة الخيرية ،مصر– القاهرة ط:1، جمادى الثانية 1304هـ ، 3 .

5. الموازنة ، أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي البصري(ت: 370هـ)حقق اصوله وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط: 2، 1373هـ–1954م، 384 .

6. نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي ، تأليف د. عبد الناصر حسن محمد ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،ط:1، 1990م ،101.

7. البحث عن نافذة القمر ، حيدر حاشوش العقابي ، دار المرتضى ، ،2014 ط:7.1.

8. ديوان طرفة بن العبد ، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت لبنان 1427هـ–2006 م ط:2 ، 19، وصدره :

9. كلهم أروغ من ثعلب مأأشبه الليلة بالبارحة

10. البحث عن دائرة القمر ، 7

11. المصدر السابق نفسه .

12. المصدر السابق نفسه.

13. المصدر السابق ، 7– 8 .

14. المصدر نفسه ،8 .

15. ديوان طرفة بن العبد ، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط:2:61، وصدره :

16. ابا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض
17. المصدر السابق ، 9